



(المروءة)

- وللمروءة آداب وخصال ترفع شأن حاملها وتعلي شأوا صائنها، والمتوقع من كل منا أن يجهد ويجتهد بالتحلي بها لتكون المروءة له طبعاً والصيانة له سمتاً، وها أنا أعرض لكم عدداً من هذه الآداب والخصال:
- فمن أدب صاحب المروءة: أن يضبط نفسه عن هيجان الغضب، أو دهشة الفرح، ويقف موقف الاعتدال في حالي الضراء والسرء ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿[الحديد: 22، 23].
- ومن أدب صاحب المروءة: الصراحة في أدب والترفع عن المواربة والنفاق، فلا يبدي لشخص الصداقة، وهو يحمل له العداوة، ولا يصوب فعله في الظاهر وهو يعتقد خطأه في الباطن.
- ومن أدب صاحب المروءة: ألا يفعل في الخفاء ما لو ظهر للناس لعدوه من سقطاته، قال محمد بن عمران لما سئل عن المروءة: ألا تعمل في السر ما تستحي منه في العلانية.
- ومن أدب صاحب المروءة: أن يحفظ لسانه من أن يلفظ مثلما يلفظ أهل الخلعة من سفه القول، أو يطلق لسانه في أعراض الناس يلتقط معانيهم، أو يختلق لهم معائب، قال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرغنّ لك، لئن قلت لي كلمة لأقولنّ لك عشراً. قال: وأنت والله لئن قلت لي عشراً لم أقل لك واحدة.
- ومن أدب صاحب المروءة: أن يتجنب استخدام ضيفه، قال عمر بن عبد العزيز: "ليس من المروءة استخدام الضيف".
- ومن أدب صاحب المروءة: أن يحتمل ضيق العيش، ولا يظهر الشكوى من حوادث الدهر، فمأء الحياء عنده أغلى من ماء الحياة.
- ومن أدب صاحب المروءة: أن يكون حافظاً لما يؤتمن عليه من أسرار.
- وذو المروءة يحذر أن يؤذي شخصاً، وأشد ما يحذر أن يؤذي ذا مروءة مثله.
- من أدب صاحب المروءة: أن يكون ذا أناة وتؤدة، فلا يبدو في حركاته اضطراب أو عجلة؛ كأن يكثّر الالتفات في الطريق، ويعجّل في مشيته العجلة الخارجة عن حد الاعتدال، وكذلك يكون ذا أناة في كلامه، يرسل كلماته مفصلة.
- هذه طائفة من آداب المروءة وخصالها، واعلموا أن في المروءة راحة ولذة تفوق كل نعيم في هذه الحياة، وإذا كان في حفظ المروءة كلفة ومشقة، فإن عزة النفس وراحة الضمير التي يجدها الرجل عندما يبلغ في المروءة غاية سامية تنسيه كل مشقة.
- ثم إنّ ذا المروءة حقيق بالإجلال: وتمتلى الأعين بمهابته. ومن الحكم السائرة: "ذو المروءة يُكرم وإن كان معدماً، كالأسد يُهاب وإن كان رابضاً، ومن لا مروءة له، يُهان وإن كان موسراً؛ كالكلب يُهان وإن طُوق وحلّي بالذهب".
- وإن الرجل ذا المروءة ليكون خامل الذكر خافض المنزلة، فتأبى مروءته إلا أن يستعلي ويرتفع كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً، فحقيق بنا أن نربي أنفسنا وأبناءنا على رعاية المروءة وآدابها لننال لذتها وبركتها.
- في حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا» [الطبراني].